مجلة الإحياء، المجلد:21، العدد: 29، أكتوبر 2021، ص - ص: 909– 918
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

تعدد الزوجات دوافعه وانعكاساته على الأسرة
- دراسة تحليلية -

Polygamy, its motives and implications for the family
- An analytical study–

طالبة دكتوراه سماح معمر د/ لخضر بن ساهل
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باتنة1
مخبر التطبيقات النفسية في الوسط العقابي
sociobl@hotmail.com mammarsamah@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/09/14 تاريخ القبول: 2021/06/02

الملخص:
تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الأسباب والدوافع التي دفعت بالرجل إلى التعدد، والانعكاسات التي يخلفها هذا النظام من الزواج ، باعتبار تعدد الزوجات نظام ديني، فالإسلام ليس من وضع هذا النوع من الزواج وإنما كانت الشعوب تمارسه قبل الإسلام بدون ضوابط ولا قيود، فالدين الإسلامي قيده وحدده بأربع زوجات وبشروط، ولكن لغياب الثقافة الدينية والاقتصادية، أصبحت بعض المجتمعات ترفض هذا النظام لما له من آثار، فلنظام تعدد الزوجات إيجابيات وسلبيات عند تطبيقه على أرض الواقع الاجتماعي، فتنعكس هذه الأخيرة على المجتمع بشكل عام وعلى الأسرة بشكل خاص، باعتبار الأسرة هي اللبنة الأساسية في تكوين المجتمع، ومن خلال هذه الدراسة التحليلية نحاول تحديد الدوافع الكامنة وراء التعدد، والانعكاسات التي يخلفها على الأسرة.
الكلمات المفتاحية: الزواج؛ تعدد الزوجات؛ الأسرة.

Abstract:
This study aims to uncover the reasons and motives that drove a man to polygamy, and the implications this system leaves behind in marriage, considering polygamy as a religious system. Islam is not a form of this type of marriage. Rather, peoples practiced it before Islam without restrictions or restrictions, the Islamic religion is its restriction. He defined it with four wives and conditions, but due to the absence of religious and economic culture, some societies have come to reject this system because of its effects. Fundamental to the formation of society, and through this analytical study, we try to determine the underlying motives behind polygamy, and the repercussions it has on the family.
Key words: Marriage; polygamy; family.

مقدّمة:

عرفت المجتمعات البشرية أنظمة عديدة في إطار العلاقات الزواجية والجنسية، حيث بدأت بالمشاعية الجنسية، أين كان الجنس مشاع للجميع بدون ضوابط، ثم فيما بعد نظام تعدد الأزواج والزوجات، حيث يتزوج الرجل بعدد كبير من النساء دون شرط أو قيد، والمرأة بعدد كبير من الرجال، ومع تطور المجتمعات ظهر نظام آخر وهو الزواج الثنائي، بعد ذلك الزواج الأحادي وهو النمط السائد في كل المجتمعات، فنمط تعدد الزوجات من أنماط الزواج، حيث يباح للرجل أن يكون في عصمته أكثر من زوجة، فقد أخذ بهذا النظام كثير من الشعوب في مختلف العصور، ولكن بدون شرط أو قيد، إلى أن جاء ديننا الحنيف فلم يمنعه ولم يدعه مطلقا، بل قيده بضوابط شرعية نصت عليها أحكام قرآنية، وذلك مع توفر شرطي العدل والنفقة، كما أن هناك العديد من الشعوب والقبائل مازالت تمارس هذا النوع من الزواج، والتي لا تدين بالإسلام مثل

جنوب إفريقيا، الهند، الصين، اليابان ومناطق أخرى في جنوب شرق آسيا، وبالرغم من كل هذا إلا أن هناك مجتمعات منعت تعدد الزوجات، وترى أنه يخلف مشاكل نفسية، اجتماعية واقتصادية للأسرة، فتؤثر هذه المشاكل على العديد من جوانب الحياة الأسرية، كما يسبب خلل في العلاقات، الأدوار والوظائف داخل هذا البناء إذا لم يطبق وفق ضوابط شرعية، ويعتبرونه تهديم لكيان المرأة، والتي تصبح عرضة لمجموعة من الضغوطات والصراعات بسبب الوضع الجديد. فالهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن الدوافع الرئيسية لتعدد الزوجات، مع الكشف عن الانعكاسات المترتبة على نظام تعدد الزوجات، ومن هنا نطرح التساؤلات التالية: ما هي الدوافع التي أدت بالرجل للتعدد؟ وما هي انعكاسات هذا النظام على الأسرة؟

1- تحديد المفاهيم:

1-1- مفهوم الزواج:

لغة: زوج بمعنى قرن، زوجت الإبل أي قرنت ببعضها.

اصطلاحا: عبارة عن عقد يفيد حق انفراد الرجل بالاستمتاع بالمرأة، التي تدخل في عصمته بالعقد، ويفيد تمتعها هي به وحده فقط[1].

وقد عرفه (وستر مارك): بأن العلاقة التي تربط رجلا أو عدة رجال بامرأة أو عدة نساء، بشرط أن تتفق وتقاليد الجماعة أو يؤيدها القانون، وتنطوي هذه العلاقة على حقوق وواجبات بالنسبة للطرفين، وعلى هذا يعتبر نظاما اجتماعيا، يساهم بنصيب كبير في تنظيم الغريزة الجنسية، ويقوم على تفضيل العلاقة الدائمة بين الطرفين والرغبة في الحياة المشتركة[2].

الزواج هو عقد يجمع بين المتعاقدين ما دام يصح التعاقد بينهما، فيحل بينهما الاستمتاع والإنجاب، ويجعل منهما أساس أسرة ويترتب لكل منهما حقوقا على الآخر، وهو كسائر العقود التي يتوقف الالتزام فيها على اجتماع إرادتين، أحدهما تمثل جانب الإيجاب، والأخرى تمثل جانب القبول[3].

الزواج هو عقد مبرم بين رجل وامرأة، الهدف منه هو تكوين خلية اجتماعية وإنجاب الأطفال، وتترتب عليه حقوق وواجبات لكل من طرفيه.

1-2- مفهوم التعدد: يشير هذا المصطلح إلى النظام الذي يسمح فيه للرجل بأن يتزوج بأكثر من زوجة[4]. كذلك يعرف التعدد بأنه النوع الذي بمقتضاه يستطيع الزوج أن يحتفظ بعصمته بأكثر من زوجة في آن واحد[5].

فتعدد الزوجات يعني زواج الرجل بأكثر من امرأة أي زوجتين أو أكثر وفق شروط، والحد الأقصى الذي وضعته الديانة الإسلامية هو أربع زوجات.

1-3- مفهوم الأسرة: يعرف بيرجس ولوك الأسرة بأنها: (جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج والدم، أو التبني ويعيشون معيشة واحدة، ويتفاعلون كل مع الآخر في حدود أدوار الزوج، الزوجة، الأم ،الأب، الأخ والأخت، ويشكلون ثقافة مشتركة)[6].

كما عرفها أوجبرن بأنها: (رابطة اجتماعية مكونة من زوج وزوجة مع أطفال أو بدون أطفال، أو من زوج بمفرده مع أطفاله، أو زوجة بمفردها مع أطفالها)[7].

وعرفها أيضا أوغست كونت بأنها:(الخلية الأولى في المجتمع، وهي النقطة التي يبدأ منها التطور، وهي أول وسط طبيعي واجتماعي ينشأ فيه الفرد ويتلقى المكونات الأولى لثقافته ولغته وتراثه الاجتماعي)[8].

فالأسرة هي جماعة اجتماعية تتكون من الأب والأم وواحد أو أكثر من الأطفال، تربط بينهم روابط دموية واحدة، يعيشون مع بعضهم البعض في إطار ما يكلفه القانون والدين، العادات والتقاليد، حيث تقوم بتربية

ورعاية الأبناء، حتى يتمكنوا من القيام بواجبهم في المجتمع، وضبطهم ليصبحوا أشخاصا يتصرفون بطريقة اجتماعية، من خلال تلقينهم الأساليب الإيجابية والسلوكات السوية.

2- تعدد الزوجات في الديانات:

2-1- تعدد الزوجات في اليهودية: إن التوراة لم تحرم تعدد الزوجات، ولم تحجر على الرجل أن يتزوج بأي عدد من النساء، ولكن أحبار اليهود كرهوا تعدد الزوجات، فحاولوا التضييق منه، وذلك بتحديد عدد الزوجات بأربع، واشترط وجود مبرر شرعي عند الزواج بأخرى[9]. كما أقر الربانيون والقراؤون هذا المبدأ وظل اليهود طيلة العصور الوسطى يجمعون بين عدة زوجات، حتى منع الأحبار الربانيون تعدد الزوجات لضيق أسباب المعيشة، التي كان يعانيها اليهود في تلك العصور، وقد صدر هذا المنع في القرن الحادي عشر وقرره المجمع الكنسي في مدينة warms بألمانيا، وكان هذا المنع في أول الأمر قاصرا على يهود ألمانيا ويهود شمال فرنسا، ثم عم جميع يهود أوربا[10]. حسب الديانة اليهودية وحسب ما جاء في التوراة فقد شرع تعدد الزوجات دون تحديد العدد، حيث يحق للرجل أن يتزوج بعدد من النساء ابتداء بزوجتين، أما أهبار اليهود فقد كرهوا ذلك فحددوا العدد بأربع نساء مع وجود مبرر للزواج، ثم فيما بعد منعوا التعدد حتى صدر في القرن الحادي عشر قانون منع تعدد الزوجات، وهذا راجع في نظرهم إلى ضيق المعيشة وغلائها، وعدم قدرة الرجل على الإنفاق على أكثر من زوجة.

2-2- تعدد الزوجات في المسيحية: لقد كان تعدد الزوجات يمارس في المراحل الأولى من المسيحية، فلم يحصل أي اعتراض عليه من رجال الكنسية، حتى القرن السابع عشر الذي حصل فيه الحظر، وكان من المسحيين الأقدمين من تزوج أكثر من زوجة، ولم تعترض الكنيسة على ملوك لهم أكثر من زوجة، وهذا ما أشار إليه الباحث "مارك" في كتابه" تاريخ الزواج" إلى أن" **ديارمايت"** ملك إيرلندا قد تزوج من امرأتين، وملك فرنسا **"شارلمان"** تزوج من زوجتين[11]. فكان القس "مارتن لوثر" يتحدث عن تعدد الزوجات بدليل أن إبراهيم الخليل كانت له زوجتان، وأن تعدد الزوجات خير من الطلاق[12]، وفي سنة 1531 نادى "اللامعمدانيون" بجواز التعدد، ودعت فرقة مسيحية أخرى تدعى" المرمون" إلى التعدد واعتبرته نظاما إلهيا مقدسا، غير أن الكنيسة المسيحية قررت بعد ذلك بجميع مذاهبها منع التعدد وإبطال الزواج الثاني، ولم تعتد بعقم المرأة، فهي لا تراه مبررا للطلاق والزواج من امرأة ثانية[13].

في المراحل الأولى للمسيحية كان تعدد الزوجات مشرع وممارس لدى المسيحيين، مع مطلع القرن التاسع عشر تم منع تعدد الزوجات في حين دعت إليه بعض العرف المسيحية باعتباره حقا مقدسا إلهيا، فيما بعد منعته الكنيسة منعا باتا، ولم تأخذ بمبررات الزواج الثاني.

2-3- تعدد الزوجات في الإسلام: لم يستحدث الإسلام تعدد الزوجات، فقد كان نظاما راسخا في حياة العرب، اقتضته طبيعة بنيتهم البيولوجية وظروفهم الاجتماعية، والإسلام لم يفصل بين حياة العرب في الجاهلية وحياتهم في الإسلام، وإنما هذب الحياة فاستبقى محاسنها ومحا وعدل ما ينبغي محوه وتعديله بما يتفق مع غايته. فلم يمنع تعدد الزوجات وإنما ضيقه وقيده بضوابط إيمانية نصت عليها أحكام قرآنية، فقصر عدد الزوجات على أربع بعد أن كان التعدد مطلقا في الجاهلية[14]. لقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء: 3).

كما أنه لم يجعل منه فرضا وإلزاما على الرجل، بل حدده وضبطه ونظمه وفي هذا يشير سيد قطب إلى: "إن الإسلام لم ينشأ التعدد بل حدده ولم يأمر بالتعدد وإنما رخصه وقيده، فرخصه لمواجهة واقعيات الحياة البشرية وضرورات الفطرة الإنسانية"[15].

كما نجد أن الدين الإسلامي الحنيف قد اشترط في إباحة التعدد شرطين أساسيين وهما العدل والقدرة على الإنفاق، ويتمثل العدل في المساواة بين الزوجات من حيث الحقوق والواجبات الزوجية، التي تجب للمرأة من حيث المبيت والمعاشرة ثم الإنفاق وكافة أشكال وصور الرعاية المختلفة لها ولأولادها[16].

أما المحبة القلبية فلا يمكن التسوية فيها، وليس في وسع الرجل أن يميل قلبه إلى زوجاته بقدر واحد من الميل، وقد كان النبي ﷺ على عدله مع نسائه يقول عند قسمه بينهن : "اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"[17]، ثم نهى الله تعالى عن المبالغة في الميل فقال: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ (النساء: 129)، أي لا تتعمدوا الإساءة وألزموا التسوية في القسم والنفقة لأن هذا مما يستطاع، وقال ﷺ: (من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل)، أي لا يعدل في النفقة والمبيت، وليس في الحب والهوى[18].

حدد الدين الإسلامي تعدد الزوجات وحدد عددهم، حيث يمكن للرجل أن يتزوج بزوجتين أو ثلاثة أو أربعة، مع تحديد جملة من الشروط التي إن توفرت وجب على الرجل أن يتزوج بالثانية أبرزها مرض الزوجة أو عقمها، أو في حال الناشز التي لا تطيع زوجها، بالإضافة إلى شروط أخرى يجب توفرها بعد حدوث تعدد الزوجات كالعدل والمساواة بين الزيجات في كل أمور الحياة، حتى يتجنب الزوج المشاكل التي يخلفها التعدد إذا مورس دون تطبيق هذه الشروط، إن التعدد وجد بوجود المجتمعات في مختلف الديانات وفقا لمعايير معينة تختص بها ديانة عن غيرها.

3- دوافع وأسباب تعدد الزوجات:

عندما جاء الإسلام بالتشريع جاء لكل الناس ولكل زمان ومكان، وجاء كحل لبعض الحالات التي يضطر فيها الرجل إلى الزواج بأخرى، ولكن دون أن يضيق عليه الشرع فيطلق الثانية، إذا لم تكن هي ترغب في الطلاق، وإذا كان تعديد زوجها عليها أقل ضررا من طلاقها، فإن الدين الإسلامي لم يحط من كرامة المرأة عندما شرع تعدد الزوجات، ولم يكن السبب من أجل الإعالة والجانب الاقتصادي فقط، حتى وإن كان بالفعل هو أحد هذه الأسباب، وإنما وضع التعدد لأسباب أخرى وكثيرة[19]، فقد وردت في الكثير من الدراسات حول التعدد، أن هناك الكثير من الأسباب النفسية والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تدفع الفرد إلى التعدد، وكان في مقدمتها التركيبة النفسية للرجل، والتي تميل إلى التعدد بصورة فطرية، وهذا ما أدى بالرجل إلى ممارسة علاقات جنسية خارج نطاق الزواج في الشرائع، التي لا تسمح بتعدد الزوجات، وبالتالي انتشار الخيانة الزوجية وظهور أمراض خطيرة كالسيلان والإيدز، ومن هنا يمكن ذكر بعض العوامل التي تدفع بالزوج للتعدد وهي:

1- عجز الزوجة عن أداء واجباتها الزوجية، لمرض يحول بينها وبين القيام بهذه الواجبات.

2- ميل الزوج لأخرى وحرصه على عفافه وعلى عدم ارتكاب المعصية، فتعدد الزوجات هو البديل الأخلاقي والأفضل من تعدد الخليلات[20].

3- قد تكون الزوجة عقيما لا تلد، فهذا يدفع الزوج بدلا من تطليقها أن يتزوج من امرأة أخرى، أو قد لا تنجب أولادا وهو يحرص على أن تكون له ذرية ترث ماله وجاهه من بعده.

4- أن يكون الرجل يتمتع بقوة جنسية هائلة، بحيث لا تكفيه امرأة واحدة أو أنه لا يستطيع الصبر في تلك الأيام التي لا تصلح فيها الزوجة للمعاشرة الجنسية[21].

5- قلة الرجال وكثرة النساء نتيجة الحروب التي تفني عدد كبير من الشباب العزاب أو المتزوجين، ويتركون خلفهم زوجات أرامل، كما أن الرجال أكثر عرضة للهلاك والوفاة ليس نتيجة للحروب فقط، وإنما للمشقة

الملقاة على عاتقهم حسبما تقتضيه وظيفتهم في الحياة[22]، فلهذا سمح هذا النظام للكثير من المسلمين أن يعولوا زوجات إخوانهم الذين استشهدوا بسبب الحروب حتى لا يختل التوازن الديموغرافي بين الذكور والإناث، إضافة إلى أنه يؤدي إلى تقليص نسبة العنوسة.

6- أن يكون الرجل بحكم عمله كثير الأسفار ويقيم في غير بلدته وقد يستغرق منه شهورا، ومن الصعب أن ينقل معه زوجته وأولاده، فالأفضل له أن يتزوج بامرأة أخرى خير من أن يتخذ خليلة يأنس بها عن طريق غير مشروع[23].

لقد حاول هذا النظام أن يدرج بالمجتمع من حالة الفوضوية في الزواج إلى حالة التنظيم لا ترهق الناس ولا تسبب لهم أفعال شديدة رافضة، فهو لا ينتقل بهم من الإباحية والفوضوية المطلقة إلى التحريم الصارم، وإنما يتدرج في خطوات حتى لا يتخذ صيغة التعسف والظلم[24]. فالتشريع نقل المجتمعات من الإباحية (المشاعية الجنسية) إلى مجتمعات نظيفة تحكمها نظم وقوانين، وعليه فإن تعدد الزوجات كنظام لم يأتي عبثا، إنما جاء لأجل عدة عوامل وأسباب في أغلبها تعتبر كمشاكل تعكر حياة الزوج فتدفعه إلى إعادة الزواج مرة أخرى، كما له حكم سامية، وفوائد جليلة تتوقف عليها أنظمة الحياة، وتقتضيها ضروريات الوجود لحل كل المشاكل التي تعتري المجتمع.

4- الانعكاسات الناجمة عن تعدد الزوجات على الأسرة:

لقد أباحت الشريعة الإسلامية تعدد الزوجات وفق ضوابط وأحكام شرعية، فعدم التقيد بها يؤدي إلى اختلال التوازن داخل الأسرة، ويهدم العلاقة الزوجية. فالتعدد جاء لحل العديد من المشاكل التي تعرفها المجتمعات بصفة عامة، والمجتمع الجزائري بصفة خاصة كالعنوسة التي عرفت ارتفاعا ملحوظا، فكل امرأة تحلم أن تعيش دور الأمومة، ولكن بالرغم من شرعيته لم يلقى تطبيقه في الواقع رواجا خاصة في العصر الراهن، بسبب التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها المجتمعات، حالت إلى تكريس نظام الزوجة الواحدة. إن تعدد الزوجات كنظام في الزواج له جملة من الآثار الإيجابية والسلبية، فالإيجابية تتمثل في إنه يؤدي إلى الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع وذلك بما يصاحبه من توسيع العلاقات بين الناس الشيء الذي يكون سببا في التعارف والتآلف والتجانس وتقوية أواصر الأخوة نتيجة لعلاقات النسب[25]. كما أنه يعطي فرصة للأسرة كي تحصل على الأبناء في حالة عقم الزوجة، ويحقق لكل امرأة أن تصبح زوجة ولها أبناء بمعنى بناء أسرة، كما أن للزوج القدرة على الاحتفاظ بزوجته دون أن يطلقها ويبقي أبناؤه تحت رعايته وعنايته، وهذا ما يساعد في استمرار الحياة الأسرية في بعض الحالات التي تتوجب ذلك.

ولكن هناك حالات تهدد كيان الأسرة وتشتت أفرادها، وهذا راجع إلى غياب الثقافة الدينية لدى أفراد الأسرة، إذ أن الإسلام أجاز التعدد للرجل، ولكن حتى يجوز التعدد يجب أن تكون هناك استطاعة مالية وصحية ونفسية، فإذا انتفى شرط القدرة والاستطاعة ينتفي شرط التعدد، فهذه العوامل الاجتماعية والنفسية والاقتصادية تؤثر على الحياة الزوجية وعلى الأبناء، فتؤدي إلى عدم استقرار الأسرة، ومن خلال كل هذا نحاول أن نبين بعض الآثار السلبية الناجمة عن تعدد الزوجات على أفراد الأسرة وهي كالتالي:

1- الحالة النفسية التي تصيب المرأة، فتصبح غير مستقرة نفسيا على خوفها من أن تفقد اهتمام زوجها لها، وتستحوذ عليه الزوجة الثانية، حتى أن مشكلة العدل بين الزوجات مهما حاول الزوج العدل بينهم، إلا أنه يفشل لسببين الأول إما لكثرة مقارنة زوجاته لطريقة تعامله مع كل واحدة، أو لعجزه في التوفيق بين متطلبات زوجاته.

لقد ركزت بعض الدراسات على ردة فعل الزوجة الأولى باعتبارها الطرف الأكثر تأثرا من ناحية الآثار النفسية السلبية للزواج المتعدد، وتم وصف متلازمة مرضية تصيب الزوجة بعدما يتزوج شريكها بأخرى، وتبدأ برد فعل عصبي برفض هذا الزواج الثاني وإبداء الغضب والمقاومة، ثم تتجه الحالة إلى الاستقرار والاتزان مع قبول الواقع الجديد في فترة زمنية تتراوح من سنة إلى عامين[26].

2- إن معظم المشاكل التي تنجم عن تعدد الزوجات هو غيرة المرأة، سواء الزوجة السابقة أو الجديدة، ويختلف مداه من زوجة إلى أخرى، فهذه الغيرة تعكس واقع حقيقي لمدى حبها له، وهي حالة نفسية تعبر من خلالها على مدى خوفها على مستقبلها في الحياة، وهذه الغيرة المفرطة تؤدي إلى ظهور نزاعات وصراعات دائمة بين الزوج وزوجاته وبين الزوجات أنفسهن.

3- أمام فكرة تعدد الزوجات فإن المرأة تشعر أنها مهددة في عرينها ومضطربة في عيشها، فهي لا تأمن من أين يأتيها الخطر بوجود زوجة أخرى في حياة زوجها، وبالتالي فهي ترفض فكرة زواج زوجها بأخرى وتنظر للموضوع على أنه خيانة وتعدي وسلب لكيانها، وتعتبره كمحاولة تستهدف مباشرة الحد من تطور الخلية الزوجية على المستوى العاطفي مما ينتج إضعاف الالتزام المتبادل بينهما لزواجه بأخرى، فتصبح الزوجة الأولى لا تملك زوجها بل تتقاسمه مع زوجة أخرى أو أخريات[27].

4- كما أن رد فعل الزوجة الأولى لن يكون سوى الكراهية والانتقام وليس شيئا آخر، فلا يوجد أي شيء أسوأ عند المرأة من احتقار زوجها إياها، وإن أعظم خسارة عند المرأة هي عندما تشعر بأنها لم تتمكن من أسر قلب الرجل[28].

ويشير "مصطفى حجازي" في دراسته عن التخلف الاجتماعي، أن مثل هذا الوضع الذي تعيشه المرأة في المجتمعات العربية عموما والمجتمع الجزائري خصوصا يعتبر نوعا من "الاستلاب الجنسي"، يجعل المرأة في وضعية مأزقيه ويعمل على إظهار الكثير من الآثار النفسية لديها، مما يدفعها إلى تصور نفسها كأداة جنسية استغلها للمتعة فقط، وتعيش حالة من الدونية والقلق حول قدرات جسدها وكيفية حيازة إعجاب الزوج، وهنا تتفجر كل مخاوفها الوجودية التي تكونت مع معايشتها لوضعيات القهر حول حلول كارثة ما ستعصف بوجودها بتواجد "ضرة" لها[29].

5- لقد استغل الرجل في مجتمعنا تعدد الزوجات بعيدا عن هدفه السامي، الذي شرع لأجله العدل فيما بينهم في المبيت والنفقة، فجعل منه وسيلة تمكنه من اكتساب قيمة عالية بين أفراد مجتمعه، وذلك بإقامة منافسة بين مجموعة من النساء على حساب الزوجة، والتي تنجر عنها أمراض واضطرابات نفسية تلازمها حتى طوال حياتها، وكذلك الأبناء أيضا هم عرضة لهذه الاضطرابات النفسية والعاطفية التي تؤثر على حياتهم الشخصية والاجتماعية.

6- نظرة المجتمع للزوجة على أنها مهملة لا تقوم بواجباتها على الوجه السوي، رغم عدم معرفتهم لأسباب تعديد زوجها عليها، فهذا يعرضها للانطواء والعزلة وترفض بناء علاقات اجتماعية.

7- إن العدل بين الزوجات من ناحية الميل القلبي، أمر لا يستطيع الزوج العدل فيه، فميل الزوج لزوجته الجديدة تعتبره الزوجة الأولى إثارة لقلبها وإيلام لمشاعرها، فتشعر بأن امرأة أخرى جاءت تشاركها في زوجها الذي كان خالصا لها، فترى أنه لم تبقى لها مكانة في تلك الأسرة.

8- الأسرة التي يلجأ فيها الزوج إلى التعدد دون تطبيق لشروطه، وإهمال الأسرة الأولى، فإن ذلك سوف يولد أسرة تكون فيها الأم منفردة في تربية الأبناء، ، فستواجه هذه الأسرة مشكلات عديدة تؤثر سلبا على الزوجة، ومن ذلك حدوث ما يسمى بازدواجية الدور، وهذا ما يجعل الزوجة تحت ضغط نفسي عندما تجد

نفسها تتحمل مسؤولية الإنفاق والإعالة بمفردها، وذلك بسبب الفهم الخاطئ للتعدد من قبل الزوج وإهماله لأسرته[30].

9- كما أن المعاناة قد تنتقل للزوج المعدد في حد ذاته كما أشارت دراسات إلى أن حالات التعدد كانت نهايتها سيئة، فمن الأزواج من قتل نفسه أو طلق جميع زوجاته، أو هرب من واقعه إلى الكحول أو المخدرات، غير أن مسالة التعدد مثلما لديها سلبيات إلا أنها تمثل حلا وضرورة تحتاج إليها الأسرة بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة[31].

كما أن الأبناء هم كذلك عرضة لهذه الآثار إذا لم يطبق هذا النظام بالشروط والقيود التي وضعتها الشريعة الإسلامية، فهم دائما الضحية الذين يحصدون العديد من المشاكل الاجتماعية والنفسية، حيث يرون أن الوافد الجديد أي الزوجة الثانية خصما قويا، ويعتقدون بأنه سينقص من حنان وعناية الأب أو الأم اتجاههم أمام هذا الوضع الجديد، لذلك تظهر لديهم مجموعة من المشاكل من بينها: إن الأسر المعددة كثيرة الأبناء لا تستطيع أن توفر نفس الاهتمام لكل فرد وفهم احتياجاتهم وهذا يؤثر على صحتهم الجسدية وتطورهم العقلي، فيسبب مشاكل في حياتهم اليومية وتحصيلهم الدراسي.

كما أكدت العديد من الدراسات أن هؤلاء الأبناء سوف يعانون من ضعف الثقة بالنفس، وعدم القدرة على التركيز واليأس والملل، والخوف من المستقبل والحساسية الشديدة تجاه الآخرين، والعجز عن اتخاذ القرارات، ومشاعر العدوانية، والرفض والسخط على الآخرين. كما أن حدوث هذا التغير السلبي في سلوك الأبناء بسبب فقدان الاطمئنان النفسي، يؤدي إلى الغيرة والحسد بين الأبناء وإلى الكره الذي من شأنه أن يؤثر سلباً على شخصية الطفل، ويخلق له مشكلات في المستقبل، ويقلل من الاهتمام بالأبناء وفهم احتياجاتهم من قبل آبائهم، ويعجز الأب عن السيطرة على خلافات الأبناء من أمهات مختلفة، كما أن تصرفات الأبناء تتحول إلى حركات عدوانية إن كان مع الأهل أو حتى مع أصدقائهم، وذلك نتيجة الاضطرابات النفسية التي يعيشها الأبناء[32].

إضافة إلى النزاعات والخلافات التي تشب بين أبناء الزوجات، في حالة تفضيل أبناء إحدى الزوجات على الأخرى أو المقارنة بينهم في جميع المجالات، لذلك لابد على الآباء أن يمنحوا العناية اللازمة، من خلال الاستماع إليهم ومعرفة ما يفكرون فيه وما يؤرق بالهم ، مع شرح لهم بأن العلاقة الجديدة لن تؤثر على علاقة الأبوة أو الأمومة معهم، مع إبداء مدى الحب والعطف وسرعة الاستجابة لمتطلباتهم في المرحلة الأولى من العلاقة، إلى حين اعتيادهم على الوضع الجديد، لأنه في كثير من الحالات ظهرت لدى الأطفال ردود أفعال قوية لرفض الزوجة الجديدة في اعتقاد أن هذا الوضع هو تبديد لعاطفة آبائهم تجاههم، فيحدث لهم عدم الطمأنينة مما يؤثر على حياتهم الاجتماعية والدراسية، فينتج عن هذا التسرب المدرسي والانحراف أي الهروب من الإطار الأسري.

فالمشاكل الاقتصادية لها أثر خاص داخل الأسرة المعددة وذلك من ناحيتين: كفاية الدخل وتوزيعه، وكلما ضعفت الثقافة الاقتصادية بين أفراد الأسرة كلما زادت حدة المشاكل الاقتصادية فيها، فقد لوحظ أن الأسر ذات الزوجات المتعددة أقل رفاهية من تلك التي فيها زوجة واحدة، لعدم كفاية الدخل، باعتبار أن الرجل هو المسؤول الأول عن الأحوال المالية في الأسرة[33]. كما أن الظروف الاقتصادية التي تعيشها المجتمعات في هذا العصر الحديث، مع زيادة متطلبات الأسرة لا يسمح للرجل بأن يعدد الزوجات، لأن هذا التعدد يفرض عليه أعباء مالية كثيرة، فهو مطالب بالإنفاق على العديد من أولاده وزوجاته، فإن غاب شرط العدل في الإنفاق هنا فإنه يؤدي إلى صراعات بين الزوجات وأبناء الزوجات.

إن التعدد له إيجابيات كما له سلبيات، ولكن سلبياته راجعة خاصة إلى غياب الثقافة الدينية والاقتصادية، فهما اللذان يخلقان مشاكل في الأسرة المعددة، مما يؤدي إلى انهيارها وعدم استقرارها، فكلما وجد التعاون والتفاهم بين أفراد الأسرة، كلما كان هناك استقرار سواء في الأسرة المعددة أو الأسرة ذات النظام الواحد.

خاتمة:

إن تعدد الزوجات له أثر على الأسرة ويختلف من أسرة إلى أخرى وذلك راجع إلى ظروف طرفي الحياة الزوجية، فكأن يكون الزوج مجبورا على الزواج الثاني، واقتناع زوجته السابقة بذلك وقدرته ويقينه بتوفير العدل في الأمور التي يستطيع من شأنها أن يحقق الصحة النفسية والاجتماعية والاقتصادية لأفراده، ويجعلهم أكثر تفاهما وتماسكا، ويكون قليل المساوئ قليل الأضرار، حتى يغمر هذا البيت الحب والوفاء والفضيلة والتعاون ، حيث لا يوجد فرق بين البيت الذي فيه زوجة واحدة وبين البيت الذي فيه زوجتين أو أكثر، فإذا توفرت فيه الشروط التي حددها الدين الإسلامي من عدل ونفقة بين الزوجات.

ومن خلال كل هذا أضع جملة من الاقتراحات حتى يعم الاستقرار داخل الأسرة المعددة وتتمثل في:

- وجود العدل بين الزوجات في المبيت والنفقة لتحقيق الاستقرار.
- ضرورة معرفة الزوج المعدد كيفية التعامل مع زوجاته لتجنب حدوث الغيرة، والتي تسبب مشاكل نفسية وتؤثر عليهم صحيا.
- عدم التفرقة بين أبناء الزوجات أو المقارنة بينهم، حتى لا تحدث صراعات بين الإخوة.
- العمل على تحديد ميزانية واحدة في تسيير شؤون الحياة الأسرية بين أسر الزوج الواحد.
- ضرورة تحديد وتنظيم النسل في زواج معدد، وذلك لتجنب وقوع مشاكل أسرية واجتماعية واقتصادية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- إبراهيم صالح سعاد ، أضواء على نظام الأسرة في الإسلام، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1997.

3- الترمانيني عبد السلام ، الزواج عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

4- الخشاب مصطفى ، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية، بيروت،(د.س).

5- الخفاف عبد علي ، المرأة ما بين تعدد الأزواج وتعدد الزوجات، دار الفرابي، لبنان، ط1، 2018.

6- الشمري مدين نوري طلاك، الآثار النفسية والاجتماعية عن تعدد الزوجات، مجلة جامعة بابل في العلوم الإنسانية، المجلد23، العدد2015،3.

7- الطيب عبد الله، سلوى اتجاهات النساء المسلمات نحو تعدد الزوجات وعلاقتها ببعض التغيرات الديموغرافية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس، الخرطوم، 2005.

8- العطار توفيق عبد الناصر، تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مصر، 1972.

9- القصاص مهدي محمد، علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية، بيروت، 2008.

10- النجفي حسين بستان، الإسلام والأسرة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2008.

11- بن علو فيروز، تعدد الزوجات وأثره على التماسك الأسري، رسالة ماجستير، جامعة وهران، (2014-2015).

12- بن فليس نادية، تعدد الزوجات في ظل التحولات الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة باتنة1، (2004-2005).

13- بوخنوفة نهى، متلازمة الزوجة الأولى في زواج متعدد، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس، جامعة باتنة1، (2016-2017).
14- دعبس محمد يسري إبراهيم ، الأسرة والتراث الديني والاجتماعي، دار المعارف، مصر، 1995.
15- عطية عدنان، تعدد الزوجات بين رشد الشريعة وطيش القوانين، آفاق الشريعة
http:/www.alukah.net/sharia/0/5643/#ixzz5dtifsplf.24-04-2009.
16- ناصر إبراهيم عبد الله، علم الاجتماع التربوي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011 .
17- نخبة من المختصين، دليل الإرشاد الأسري، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، ط1، 2008.

الهوامش:

[1]- محمد يسري إبراهيم دعبس، الأسرة والتراث الديني والاجتماعي، دار المعارف، مصر، 1995، ص25.
[2]- سلوى الطيب عبد الله، اتجاهات النساء المسلمات نحو تعدد الزوجات وعلاقتها ببعض التغيرات الديموغرافية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، الخرطوم،2005، ص35.
[3]- محمد يسري إبراهيم دعبس، الأسرة والتراث الديني والاجتماعي، نفس المرجع، ص27.
[4]- نهى بوخنوفة، متلازمة الزوجة الأولى في زواج متعدد، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس، جامعة باتنة1، (2016-2017)، ص 10.
[5]- مدين نوري طلاك الشمري، الآثار النفسية والاجتماعية عن تعدد الزوجات، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بابل، العدد 3، المجلد 23، 2015، ص1473.
[6]- محمد يسري إبراهيم دعبس، الأسرة والتراث الديني والاجتماعي، مرجع سابق، ص56.
[7]- إبراهيم عبد الله ناصر، علم الاجتماع التربوي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011، ص93.
[8]- مصطفى الخشاب، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية، بيروت (د.س)، ص56.
[9]- عبد الناصر توفيق العطار، تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مصر، 1972، ص91.
[10]- عبد السلام الترمانيني، الزواج عند العرب، الكويت، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص178.
[11]- عبد علي الخفاف، المرأة ما بين تعدد الأزواج وتعدد الزوجات، دار الفرابي، لبنان، ط1، 2018، ص86.
[12]- عبد السلام الترمانيني، الزواج عند العرب، مرجع سابق، ص179.
[13]- عبد علي الخفاف، المرأة مابين تعدد الأزواج وتعدد الزوجات، مرجع سابق، ص87.
[14]- عبد السلام الترمانيني، الزواج عند العرب، نفس المرجع، ص183.
[15]- نهى بوخنوفة، متلازمة الزوجة الأولى في زواج متعدد، مرجع سابق، ص34.
[16]- محمد يسري إبراهيم دعبس، الأسرة والتراث الديني والاجتماعي، مرجع سابق، ص25.
[17]- عبد السلام الترمانيني، الزواج عند العرب، نفس المرجع، ص185.
[18]- نخبة من المختصين، دليل الإرشاد الأسري، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض ،2008، ص135.
[19]- مدين نوري طلاك الشمري، الآثار النفسية والاجتماعية عن تعدد الزوجات، مرجع سابق، ص1476.
[20]- سعاد إبراهيم صالح، أضواء على نظام الأسرة في الإسلام، ط1، الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع،1997، ص129.
[21]- نادية بن فليس، تعدد الزوجات في ظل التحولات الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، جامعة باتنة1، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، (2004-2005)، ص98.
[22]- مدين نوري طلاك الشمري، الآثار النفسية والاجتماعية عن تعدد الزوجات، مرجع سابق، ص 1476.
[23]- نادية بن فليس، تعدد الزوجات في ظل التحولات الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، مرجع سابق، ص99.
[24]- عبد علي الخفاف، المرأة ما بين تعدد الأزواج وتعدد الزوجات، مرجع سابق، ص103.
[25]- نادية بن فليس، تعدد الزوجات في ظل التحولات الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، مرجع سابق، ص101.

[26]- سلوى الطيب عبد الله، اتجاهات النساء المسلمات نحو تعدد الزوجات وعلاقتها ببعض التغيرات الديموغرافية، مرجع سابق، ص48.
[27]- نهى بوخنوفة، متلازمة الزوجة الأولى في زواج متعدد، مرجع سابق، ص85.
[28]- حسين بستان النجفي، الإسلام والأسرة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2008، ص243.
[29]- نهى بوخنوفة، متلازمة الزوجة الأولى في زواج متعدد، مرجع سابق، ص86.
[30]- نخبة من المختصين، دليل الإرشاد الأسري، مرجع سابق، ص140.
[31]- بن علو فيروز، تعدد الزوجات وأثره على التماسك الأسري، جامعة وهران، رسالة ماجستير، (2014-2015)، ص22.
[32]- عطية عدنان، تعدد الزوجات بين رشد الشريعة وطيش القوانين، آفاق الشريعة 24-04-2009
http:/www.alukah.net/sharia/0/5643/#ixzz5dtifsplf. 01-05-2019.
[33]- عبد الناصر توفيق العطار، تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية، المصدر السابق، ص69.